

ترجمة الشيخ الإمام المؤلف السيد

أبي محمد علي بن أبي طالب

تفعله الله برحمته وعمه برضوانه

بقلم فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ

أبي القاسم إبراهيم

المدرس بالجامعة الأزهرية

رحمه الله وجزاه خيرا

الطبعة الخامسة ١٤١١ هـ

سَمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيْمَ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه (أما بعد) فهذه قطرة من بحر ، للتعريف بالشيخ الإمام .

المؤلف - هو الفقيه الحدث المفسر الثقة الثابت ناصر السنة وقامع البدعة ، المرشد الإمام الكبير أبو محمد محمود بن محمد بن أحمد بن خطاب السبكي

مولده - ولد الشيخ الإمام ببلدة سبك الأحد من قرى مركز أشمون بمحافظة المنوفية ، في يوم الخميس التاسع عشر من شهر ذى القعدة عام أربع وسبعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية (١٢٧٤ هـ) . - أول يولييه ١٨٥٨ م .

نشأته - نشأ الشيخ الإمام بين أبوين طاهرين كريمين تعهداه بحسن التربية ، وغرس فيه والده منذ نعومة أظفاره رُوح السخاء والشجاعة والشؤدُ ودَعُو الهمة وتلك مكارم أخلاق تحلى بها هذا الوالد العظيم ، وقد كان سيداً في قومه ذا بَسْطَة في الرزق والجسم محبباً بين عشيرته وعارفي فضله ونُبله .

ولقد أنجب والد المؤلف ستة ذكور كل اثنين من سيدة فضلى ، فكان يبعث واحداً للتعليم الأولى ثم تلقى العلم بالأزهر المعمور ، ويُبقي الآخر يعمل معه في مزرعته الفسيحة الخصبية ، ويعاونه على أعماله الأخرى . وكان من حظ المؤلف أن يبقى بجانب والده في مُحبوحة العز وعظيم الجاه ، ولكن غير حامل ولا كِيسل ، بل تراه في حَدَاثة سنه يكل إليه والده رعاية غنمه ليقظته النادرة وعزيمته الوثابة ، وحسن سياسته وكِياسته فكان خير حارس لها ، وخير قائم على أمرها . ثم عهد إليه مراعاة خيل كان يملكها لما رآه شجاعاً رابط الجأش « قوى القلب » فساس الجموح منها مرة بالشدة ، وآونة باللين فاستحال ذُلُولا مُنقاداً .

وهل أحدثك عن آثار شجاعة المؤلف وهمته « وهو حَدَثٌ ^(١) مراهق » حتى

يتجلى لك أن عناية الله تعالى كانت تحوطه وترعاه من بدايته . كان لوالد الشيخ الإمام حديقة واسعة الأرجاء . مساحتها ستة أفدنة أو تزيد ، عدت عليها عوادي الدهر ، واستلمت ثمارها أيدي الناهبين فشوتت جمالها ، وأذهبت بهجتها ، فما كان من هذا الوليد الفتى وهو رابط الجأش شجاع ، له نفس أبية تعاف الضيم ، ما خالطها خور^(١) العزيمة ولا جبن النذلاء^(٢) كان لزاما عليه أن ينهض بتلك الحديقة يغرس أشجارها ويصلح أرضها ، ويروي أزهارها ويشذب غصونها^(٣) فإذا جن الليل واختلط ، تعهد بها بالحراسة غير مستسلم إلى الكرى « النوم » الذي لم يُغمض له جفنا . شاء الله تعالى أن تصبح الحديقة روضة أريضة^(٤) ، يانعة الثمر وارفة الظل^(٥) دانية القطوف « تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » وتجد بأطيب الثمرات .

وحذ المؤلف غير هذا . التجارة والحياكة وفن البناء ، وهو زراع ماهر صائد لا يخطئ الرماية ، يُصيب الطائر السريع سابحا في جو السماء فيخبر صريعا وفي الليل البهيم يصيد طيوراً معتمدا على سماع صوتها .

عبادة المؤلف

اتصل المؤلف بعد بلوغه الحلم بالشيخ العارف بربه أبي محمد أحمد بن محمد جبَل السبكي الخلوتي ، فاشتغل بذكر الله كثيراً وجدَّ في الطاعة فكان يصوم النهار ويقوم من الليل مقبلا على مناجاة ربه علام الغيوب في الأسحار . وربما صلى في الليلة مائة ركعة مع كثرة ما لديه من أعمال النهار ، فلاحته عليه علائم السعادة فأذن له شيخه أن يرشد المريدين إلى الطريق القويم ، فدعا إلى طاعة الله تعالى ،

(١) (الخور) بفتحين ، الضعف . وفعله خور من باب طرب .

(٢) (النذلاء) جمع نذيل أى خسيس .

(٣) (يشذب) يقال : شذب الشجر من بابى نصر وضرب ألقى ما عليه من

الأغصان حتى يبدو . (٤) (الأريضة) الحسنة الزاهرة بكثرة المياه فيها .

(٥) (وارفة الظل) أى كثيرته يقال : ورف الظل من باب ضرب اتسع وطال .

وطاعة رسوله « صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله » فألقى آذانا صاغية ، وقلوبا واعية جزاء إخلاصه ، وصفاء سريرته .

المؤلف يكتب ويقرأ بعد أن كان أمياً

وبينما هو جالس ذات يوم في بستان أبيه إذ دخل عليه ابن عم له بيده لوح صغير به بعض حروف الهجاء ، فاشتاق نفسه أن يتعلمها ، فاتصل بمعلم القرية فكتبها له فقلد الإمام كتابتها ، وما أعظم دهشة المعلم حينما رأى خط تلميذه اليافع^(١) أحسن من خطه . وما هي إلا أيام تعدّ على الأصابع حتى صار المؤلف يجيد الكتابة والقراءة .

المؤلف يخطو إلى الجامعة الأزهرية

تاقت نفس المؤلف إلى الرحلة لتلقى العلم في الجامع الأزهر المعمور . وبينما هو يناجى مولاه سحرًا ، جدّ في الدعاء طالباً أن يمن عليه المنعم الوهاب بمعرفة العلم ويسهل له طريقه . وما مضى على دعائه أسبوع إلا وقد أشيع بين الناس أن الحكومة التي كانت لا تجند أولاد العمدة ، غيرت طريقتهما . فأشار الشيخ خطاب « رحمه الله » أكبر إخوة المؤلف على أبيه ، أن يأخذه معه إلى الجامع الأزهر ، ليتمكن من الحصول على شهادة المعافاة من الخدمة العسكرية بانتسابه إلى الأزهر . وهو إذ ذاك الحرم المسكين من دخله كان آمناً . وبعد أخذ وردّ سافر المؤلف مع أخيه الشيخ خطاب العالم الجليل . وما كادت عينه تبصر السادة العلماء ، وبين أيديهم تلامذتهم حتى تملك هذا المنظر سؤداء قلبه ، واستولى على مشاعره كلها وأخذت الآمال تملأ جوانحه^(٢) حتى فاضت على لسانه إذ فاتحه أخوه الشيخ خطاب في الذهاب إلى أستاذ كبير يشار إليه بالبنان (الرحوم الشيخ حسن العِدْوى)

(١) أيقع الغلام : شب . ويقع الغلام يقع مثله . واسم الفاعل من الثلاثى فقط وشذ من الرباعى .

(٢) (الجوانح) الأضلاع التي تحت الترائب ، وهي مما يلي الصدر كالضلع مما يلي الظهر . والمفرد جانحة .

وكانت بينهما صداقة وثيقة ، ليسهل له شهادة المعافاة فيعود على جناح السرعة إلى والده مخففا عنه هذا العيب الثقيل من أعماله ، وهو يقوم بأوفر قسْط منها . فقال المؤلف هيهات !! وكيف أترك هذه الضالة المنشودة ، وهل أضيع على نفسي مآربها وبُعْيتها ؟؟ لا بدّ من الانضمام إلى هذه الأسرة الدينية لأكون فرداً منها ولا بدّ من الجلوس بين هذه الحلقات العلمية ردحاً من الزمن^(١) ، مفارقاً تلك الحلقات الريفية ، مترحماً على الأيام الطويلة التي قضيتها بين ذويها وأترابها !!

دهش كل الدهش أخوه إذ يراه قد جاوز العُقد الثاني من عمره ، فأصبح طلب العلم عليه غير هيّين وأدرك المؤلف منه هذا فقال : قد تسبق العُرْجاء . والله يختص برحمته من يشاء . ثم أقبل المؤلف على مطلوبه أيماً إقبال . فكنت تراه في اليوم الواحد يحفظ قسطاً من كتاب الله تعالى ، ومقداراً من المتون الأزهرية على الطريقة المألوفة إذ ذاك ، ويتردد على حلقات العلم يتزوّد منها ما شاء الله . ومضى عليه نصف عام كامل فهل يدور بخلدك^(٢) أن هذا التلميذ الناشئ في مَكنته^(٣) أن يكون أستاذاً لمبتدئين يتلقون عنه دروس العلم في المساء ، ويُشرف عليها بعض المعلمين المعجّبين بذكاء ابن الريف المتقدم في سنه !! وما زال مُجِدِّداً مُواصلاً ليله بنهاره ، غير مقتصر على أن يملأ مخيلته بالمسائل العلمية يردّها لسانه ، بل وضع نُصْب عينيه العمل بما يتطلبه العلم ، موقناً أن الطالب لذلك هو الله تعالى ورسوله شاعراً أن وراءه أبناء الحلقات الريفية ، وهم الذين خيم الجهلُ عليهم فما يدرون حلالاً ولا حراماً ، وما يفرّقون بين وليّ ولا نبي !!

وهؤلاء لا بد أن تجمع الأيامُ بينه وبينهم فتقلب هذه الحلقات الدنيوية حلقات دينية يرى المجتمعون فيها من كان على شاكلتهم أضحى لهم معلماً . ومعلم هذه الطبقات ترْمُقه عيونهم ، وتُضغى إلى قوله آذانهم . فإن عَمِل بما

(١) يقال أقام ردحاً من الدهر بفتحين أى طويلاً . (٢) (الخلد) بفتحين البال

يقال وقع ذلك بخلدى أى فى قلبى : (٣) (المكنة) بفتح فكسر القدرة .

أرشدهم إليه التفوا حوله وقدسوه ، وإن اعوجَّ انقصوا من حوله ، واحترزوه .
لبث المؤلف يتلقى عن أساتذته الأجلاء بالجامع الأزهر المنير ويلتقى في أوقات فراغه دروساً شتى على بعض الطلاب ، ويرشد أبناء الريف إذا ما رجع إليهم .
فكان أزهرياً بين الأزهريين ، وواعظاً مرشداً بين الريفيين وما رضى المؤلف أيام طلبه العلم أن يتناول جارية من أوقاف الأزهر ، ولا أن يدون اسمه بين دفاتره ، وما كان شغله الشاغل إلا التفانى في العلم ، والتجلى بالعمل ، وهو ثمرة العلم !

المؤلف يطارد الراقصات وآلات الملاهي في الأفراح

يتخذ في بعض البلاد من لا خلاق لهم نسوة راقصات ، ورجالا بأيديهم آلات الملاهي من موسيقى وطبل ومزمار وغيرها ليلالى الأفراح . وفي الجمع الحاشد الشاب والفتاة ، والشيخ والسيدة . وهؤلاء جميعاً تتورث شهوراتهم وتفسد أخلاقهم ، وتتغير طباعهم بهذه المناظر الخزية التي يندى لها وجه الفضيلة .
فقام المؤلف على قدم وساق يعظ ويرشد ويعلم هؤلاء الجاهلين ما يجب عليهم لخالقهم ورازقهم الغيور على دينه المنتقم الجبار . وبين لهم المفساد والأضرار المترتبة على اتخاذ الراقصات واستعمال آلات الملاهي ، فهدى الله تعالى على يديه الكثير منهم ، فتابوا إلى رشدهم وأتابوا إلى ربهم وتابوا من ذنوبهم .

المؤلف ينهى عن منكرات المآثم

في كثير من بلدان القطر يأتي النساء منكراتٍ فظيعة إذا ما زار الموت بيتاً من البيوت ، فترى الصارخة واللاطمة وشاقة التوب ومن لطخت وجهها بالطين أو صبغته بالنيلاج^(١) وتُبصر نسوةً مُتَشَحَّحات بالسواد سائرات وراء الميت إلى المقبرة ، وعائدات إلى المنازل تقودهن النائحة ، وتظلُّ تندبُ لهن وتنوح ، وتأتى ما حرم الله ورسوله ، وربما نطقت بما يخرجها عن الملة وهى المعلمة اللقنة من

(١) النيلاج بكسر النون وفتح اللام ، دخان الشحم يعالج به الوشم (معرب) النؤور

حَوْهًا . تظل هي ومن معها ثلاثة أيام ، ثم يعدن سيرتهن الأولى كل خميس حتى ينتهى جناز الأربعين وتلك عادات مُزْرِية ، وفعّال مَسِينة ، ومنكرات عكف عليها هؤلاء النساء . والرجال القَوّامون عليهن ساكتون لاهون . وليس هنالك الأمر الناهى قوى اليقين . فشمّر المؤلف ساعد الجِدِّ ، وكشف ذراع الغَيِّرة ونهى وزجر أهل كل بلدة ينتقل إليها وبين لهم ما يترتب على هذا الفعل الشنيع من الضرر والفساد وغضب الواحد القهار ، فتاب إلى رشده كثير ممن كتب الله الهداية لهم ، وَصَلَحَتْ نفوسُهم ، ونفوس نساءهم .

المؤلف ينهى باللائمة على أرباب الطرق

مُنَى القطر المصرى بالتصوفة أرباب الطرق . وهم كثير تبلغ طرقهم ثلاثين أو تزيد . وقد كان المؤلف صوفيا خلوتيا قبل أن يخطو إلى الأزهر الميمون واختلط بكثيرين ممن ينتسبون إلى طرق أخرى فسمع الأذكار المحرّفة ورأى الألعاب البهلوانية ، وشاهد من يتظاهر بأكل النار والحيات والزجاج ، وعان الضرائب التى يجبّئها مشايخ الطرق من سرديهم كأنها أموال أميرية وأبصر النذور والهدايا تقدم إليهم كأنها مسوقة إلى حرم الله تعالى ، أو مبدولة إلى عيال الله الفقراء والمحاييج ، فحمل عليهم الشيخ الإمام حملة شَعواء ، وأبان للعامة أنهم على غير هدى وأنّ ما يقدم لهم من الضرائب حرام وسُخْت ، وكل لحم ودم نبات من حرام فالنار أولى بهما ، وأنّ الطرق الصوفية ليست حرّقا ولا مِهْنا بل هي بأذكارها المحرّفة وضرائبها ونذورها ، شارةٌ سوداء تشوّه جمال الدين الإسلامى ، وتجعل الأجانب الغربيين أعداء الدين ينظرون إلينا نظرة السُخْرية والازدراء فى حين أن الدين منهم براء ، وأنّ سيدنا محمدا صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله يمقت هؤلاء .

وكانت النتيجة أن تباعد كثير عن هؤلاء المتصوفة ، فقلّت أرزاقهم وقُطِعَتْ نذورُهم ، فأخذوا يَكِيدون للمؤلف ، ويدبرون له المؤامرات من يومئذ ولا تَنَسَّ أن المال شقيق الرُّوح !!

المؤلف يحمل على قراء القرآن

اعتاد بعض القراء تلاوة كتاب الله تعالى في المقابر ، وفي الطرقات العامة ، وفي المنازل بحضرة النساء ، وأمام من لا يعرف للقرآن حرمة كشارب دُخان ومهوش أثناء القراءة غير مُنصت ، كما اعتاد بعضهم التلاوة الحرّفة غير المشروعة فنصح المؤلف للقراء أولاً بالحسنى ثم أخذ يذجرهم ويبين لهم أنهم آثمون وأن القرآن الكريم سيكون حجة عليهم لا لهم يوم الوقوف بين يدي ملك الملوك مُذلّ الطغاة والعصاة . وبين للناس ما ينبغي أن يتحلّى به القارئ والمستمع من الآداب والتدبّر والاعتبار . فهدى الله على يديه كثيراً ممن أراد الله بهم الخير وألهمهم الرشد « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم »^(١) أخرجه الشيخان عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي .

المؤلف يرى البدع فاشية في الأزهر والمساجد الأخرى

رأى المؤلف البدع فاشية في الأزهر كعبية العلم ، وفي مساجد القطر وهو يعلم أن الناس تسير وراء العلماء شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حاجة إلى أدلة صحيحة صريحة تُزيل الشبهات حتى يظهر الحق ناصعاً ، وأنه لا بدّ مع هذا من أخذ أقوال العلماء أرباب المذاهب عن تلك البدع والمنكرات التي شاعت وذاعت وحلت محل السنن والمأمورات حتى التبست على المتعلمين أنفسهم لسكوت فطاحل العلماء عنها فجاهد المؤلف جهاد الأبطال ، ورفع أسئلة بذلك إلى حضرات السادة العلماء ، فأجابوا بأن جميع بدع العبادات باطلة لا يجوز العمل بها كما هو مقتضى نصوص القرآن الكريم والسنة المظهرّة ،

(١) (حمر) جمع أحمر (والنعم) الأنعام والمراد بها الإبل . وحمر النعم كانت أجود الإبل لذلك غناها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم .

وأَمْضَى بعضهم على هذه الفتاوى وختم آخرون . ولما تسلم المؤلف الفتاوى دَوَّنَهَا في كتاب أسماء (فتاوى أئمة المسلمين) وقام بطبعه ونشره بين الناس ولا تزال صور هذه الفتاوى لمشايخ الأزهر وكبار علمائه محفوظة لمن يريد الاطلاع عليها في أى وقت يشاء . ثم أخذ المؤلف ينشر كتباً ورسائل يبين فيها بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، ونصوص أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم ، أنَّ الدين ما كان عليه رسول الله « صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله » وأصحابه والأئمة المجتهدون رضوان الله تعالى عليهم ، وقد عُرِضَتْ هذه المؤلفات على جهابذة العلماء فاطلعوا عليها وقرظوها تمام التقريظ ، واعترفوا أنَّ ما فيها صواب وحكمة ، وأنَّ من يخالف أحكامها يكون مبتدعاً آثماً ، وقد طبعت هذه الكتب والرسائل وتناولتها الأيدي ، فعمل بها الكثيرون بعد أن ظهر لهم أنَّ البدع التي في الأذان والصلاة والصيام والحج والأفراح والمآتم والأضرحة والملبس والمطعم وغيرها مضادة للدين ، أحدثها من لا خلاق لهم ، وتعودها الناس حتى اختلط الحابل بالنابل^(١) .

وماذا كان بعد هذا ؟ تبرم^(٢) الناس ممن سكنت من السادة العلماء هذه السنين الطويلة على هذه البدع الطاغية حتى تركوها تفرخ كل يوم ، وتناولوا العلماء باللسنة حدادٍ . عند ذلك شعر العلماء بما يُحيط بهم من خطوب وأهوال فأخذوا يدبرون للمؤلف ما يدبرون ، ويشيعون بين الناس أنه يكفرهم ويكفر سواد الأمة ، وهذا منهم أمر طبعي ألفتة النفوس . وما أراد المؤلف للعلماء والعامة إلا خيراً دنيا وأخرى .

المؤلف يؤدي امتحان العالمية بتفوق

كان الأزهر يُعنى أبناءه العناية التامة بدراسة العلوم الشرعية والعربية ومن أراد أن ينال شهادة العالمية ، وضع رسالة في مبادئ هذه العلوم يقدمها إلى شيخ الأزهر مرافقة لطلاب الامتحان . والمؤلف لا طمعية عنده في نيل هذه الشهادة ،

(١) (الحابل) سدا الثوب (والنابل) لحته (٢) (تبرم) ضجر وتألم .

التي من ورائها الرواتب والمناصب ، إذ أن نفسه الطاهرة لها اتجاه غير هذا . ولكن أحد تلامذته أشار عليه أن يتقدم إلى الامتحان ، ونيته تعليم أبناء الأزهر ومن سواهم بعد نيله الشهادة كيما يسير الناس وهم يعتقدون أن العلم لا يؤخذ إلا ممن لديه هذه الشهادة ، فأنشرح صدره ووضع الرسالة وقدمها وبعد البحث انضح أن اسمه غير مُدرَج في سِلْك الطلاب ، ولم تكن له مدة معلومة فلا يقبل طلبه ولكن الله القدير يَسِّر له الصَّعَاب !! وفي الأربعاء اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وألف (سنة ١٣١٣ هـ) ١٥ من يناير سنة ١٨٩٦م أدّى المؤلف الامتحان أمام اللجنة المكوّنة من حَضَرَات أصحاب الفضيلة الأساتذة الأجلّاء الشيخ حسّونه البوّاوى شيخ الأزهر ومُفتى الديار المصرية . والشيخ بكرى عاشور الصّدّيق والشيخ عمر الرافعى الحنفيين . والشيخ أحمد الرّقاعى والسيد على الببلاوى المالكيين . والشيخ محمد حسين الإبريرى . والشيخ سليمان العبد الشافعيين . ولقد كان إعجاب اللجنة به عظيما وسرورها فائقا وجاوز المؤلف الميدان ظافرا منصورا !! وتصادف أن المؤلف قبل أن يؤدى الامتحان ألف كتابا أسماه (الرسالة البدئية الرفيعة . فى الرد على من طغى نغالف الشريعة) وخطبته ملائى بإشارات التصوف فطلب منه الأستاذ الشيخ عمر الرافعى قبل أن يُفادَرَ اللجنة أن يروِّح أفئدتهم بَطرَفة من التصوف ، واستعان بالشيخ حسونة ليجاب الطلب . فقال المؤلف : «إن القلوب ممتلئة بحب الدنيا فلا تقبل شيئا من التصوف ، . ولا زال مُصرّاً على هذا الامتناع بعد إلحاح الشيخ النواوى . فتألم جدّ الألم الشيخ الرافعى ظاناً أن المؤلف شامخ بأنفه متكبر ، غير أن السيد الببلاوى أفهمه وأفهم الأعضاء أن الأستاذ محمودا صريح غير متكبر ، وهو رجل جاهد نفسه ، وتعلق بربه تبارك وتعالى !

المؤلف يشقّ للأمة طريقا فى الحياة عمليا

(وبعض الشيوخ يكيد له)

بعد نيله إجازة التدريس عُني جد العناية فى دروسه التي كان يلقها فى الأزهر

المعمور وغيره على مئآت الطلاب ، ببيان البدع الفاشية والخرافات المضلة ، محذرا الناس وبخاصة ذوى العلم من ارتكابها والسير في طريقها الموعجة ، مرشدا إلى العمل بهدى الرسول الأمين . وصحبه الطيبين الطاهرين . وبهذا تبين لكثير من أهل العلم أن ما يروونه محيطاً بهم من البدع والمنكرات في المساجد وسواها ، لا يتفق ومبادئ الدين الحنيف ، وأنهم لابدّ مسئولون أمام الله تعالى بتفريطهم وسيهم في طرقاتها ، والعامة من ورائهم يعملون ويقدّسون كما عملوا وقدّسوا . ولما رأى فريق من شيوخ الأزهر أن دعوة المؤلف كل يوم تزداد . وأنهم لا يسمعون منه أخذوا يصطادون في الماء العكر ، ويؤلّبون عليه ويبشّرون ما الله به عليم !!

وأنتم الله لقد عملوا كل ما في وسعهم من تقديم شكاوى إلى أمير البلاد الخديو السابق فوضعت في زوايا الإهمال ، وعادوا بخنّ حنّين !! وباليتمهم اكتبوا بهذا بل عمدوا إلى دار الحماية البريطانية يشكون . وماذا كانت شكايهم؟ إن السبكي قائد جيش عرمرم من التلاميذ والأتباع وهذا الجيش خطر على الأمن العام في البلاد . ولكن بعد التحري وبثّ العيون والأرصاد ، تبين أن الرجل برىء ، وأنه يدعو إلى الله تعالى وإلى العمل بدينه ، والاعتصام بسنة حبيبهِ السيد الهادى الأمين « صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله » وأن من حوله من هذه الجوع الخشدة قوم أخيار يعملون لدينهم قبل دنياهم .

ولما فشل هذا الفريق في مسعاه السياسى لجأ إلى شيخ الأزهر إذ ذاك المغفور له الإمام الوقور الشيخ سليم البشرى طالباً تشكيل مجلس علمى يناظر المؤلف ويبحث معه فيما يدّعيه من البدع الفاشية ، والسنن المتروكة ، فأرسل شيخ الأزهر إليه يدعوهُ فلبّى مسرعاً . وكانت المناظرة في إدارة الأزهر فقارعهم بالحجة والدليل فهزمهم وولّوا مدبرين !!

ولبث المؤلف يجاهد بقلمه كما جاهد بلسانه فتراه ينشر بين الناس المؤلفات القيمة تدعوهم إلى ما كان عليه النبى وأصحابه والسلف الصالح والأئمة المجتهدون ، والعلماء العاملون . وهذه المؤلفات ليست في حاجة إلى إطراء وتقريظ . عرفها

- مَنْ اطعم عليها ، وسيعرفها مَنْ يطاع عليها بعدُ إن شاء الله تعالى . ويبلغ ما علمنا به منها ثمانية وعشرين مؤلفاً . وفيما يلي أسماؤها : —
- ١ أعذب المسالك الحمودية : في التصوف والأحكام الفقهية . أربعة أجزاء .
 - ٢ حكمة البصير : على مجموع الأمير « في فقه الإمام مالك » . أربعة أجزاء .
 - ٣ هداية الأمة الحمودية : في الحكم الحمودية السنية . وهو ديوان خطب منبرية .
 - ٤ إصابة السهام : فؤاد مَنْ حاد عن سنة خير الأنام .
 - ٥ تحفة الأبصار والبصائر : في بيان كيفية السير مع الجنائز إلى المقابر .
 - ٦ الرسالة البديعة الرفيعة : في الرد على من طغى فخالف الشريعة .
 - ٧ حاشية ديباجة الرسالة البديعة .
 - ٨ المقالة الشرعية للرأسة الإسلامية .
 - ٩ غاية التبيان : لما به ثبوت الصيام والإفطار في شهر رمضان .
 - ١٠ العهد الوثيق : لمن أراد سلوك أحسن طريق .
 - ١١ النصيحة النونية . في الحث على العمل بالشريعة الحمودية .
 - ١٢ تمجيل القضاء المبرم : لحق مَنْ سعى ضد سنة الرسول الأعظم .
 - ١٣ فتاوى أئمة المسلمين . بقطع لسان المبتدعين .
 - ١٤ سيوف إزالة الجهالة . عن طريق سنة صاحب الرسالة .
 - ١٥ فضل القضية . في المرافعات وصُور التوثيقات والدعاوى الشرعية .
 - ١٦ المقامات العلية . في النشأة الفخمة النبوية .
 - ١٧ السمع الفعّال . في أمعاء فِرَق الضلال .
 - ١٨ الصَّبارم الرِّثَّان . من كلام سيد ولد عدنان .
 - ١٩ العَضْب المنظوم . للذَّب عن سنة المعصوم .
 - ٢٠ الرياض القرآنية . في الخطب المنبرية .
 - ٢١ خلاصة الزاد . لمن أراد سلوك سبيل الرشاد .
 - ٢٢ رسالة البسملة .

- ٢٣ رسالة مبادئ العلوم ٢٤ الحكم الإلهية بالدلائل القرآنية (في الخطب المنبرية)
- ٢٥ إتخاف الكائنات . بيان مذهب السلف والخلف في التشابهات
- ٢٦ المنهل العذب المورود . شرح سنن الإمام أبي داود (طبع منه عشرة أجزاء)
تنتهي إلى « باب الهدى » من كتاب الحج ، والأجزاء الأربعة من الحادى عشر
إلى الرابع عشر تكلمة المنهل العذب . ويظهر ما بعدها إن شاء الله تعالى .
- ٢٧ الدين الخالص . أو إرشاد الخلق : إلى دين الحق . طبع منه ثمانية أجزاء تنتهي بانتهاء
كتاب الصيام (والتاسع) إرشاد الناسك إلى أعمال الناسك وهو يجمع مناسك الحج
باستفاضة وعلم غزير ٢٨ محور الوصول . إلى حضرة الرسول

أيها القارىء الكريم

إن أمامك هذه الصحف المطهرة هي كتب قيمة تناديك من كل مكان في
ذهابك وإيابك ، وحلك وترحالك . فهل متعت بصرك بقراءتها ؟ وأنت ذو عقل
سليم وتفكير صحيح . فلا يؤثر عليك سحر المؤلف . ولا طُلاوة ^(١) أسلوبه ،
بل يأخذ بلبك ساطع حجته ، وقوة منطقته ، ونور برهانه . فعليك بمطالعتها ،
والتزود منها . وما نريد منك إلا العمل بما فيها إن كنت مُنصفاً رشيداً .
ولا تظنّ أيها القارىء أن المؤلف خارت ^(٢) غزيمته ، وكَلَّتْ همته إزاء هذه
المناوشات . بل سار في طريقه دائماً مجاهداً معتمداً على ربه ، مستعيناً بحوله وقوته
ومن استعان بربه رعاه ونصره نصراً مُؤزّراً . ولقد صدق الله تعالى إذ يقول :
« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع الحسنيين » نعم هداه الله إلى
سبيله ، فلم يئنه شيء عن قيامه بالنصح والإرشاد ولم يتحوّل قيد ^(٣) شعرة وما برح

(١) (طلاوة) بالضم . والفتح لغة أى بهجة . (٢) (خارت) أى ضعفت . يقال :

خار الرجل يخور : ضعف ، فهو خوار . اه مصباح . ومن ذلك تعلم أن خار أصله خور
بفتح فكسر مثل خاف أصله خوف فقلبت الواو ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها

(٣) (قيد) أى قدر . فنى المصباح : وقيد رمح بالكسر وقاد رمح أى قدره .

مثلا عاليا للثبات على المبدأ ونبراساً^(١) وضآء للتضحية بنفسه وماله ووقته .
وهل يخطر ببالك أن المؤلف وقفت همته عند التدريس والوعظ والتأليف؟ معاذ الله!!
وكيف تقف تلك المهمة الوثابة؟ همة زعيم مصاح خطير، نشأ متحركا وعاش متحركا .
ومن كان هذا دأبه فهو مؤسس جماعة، وواضع لها نظاما وقانونا يكفل بقاءها ودوامها .

للمؤلف ينشئ الجمعية الشرعية

إنَّ جهاداً في سبيل الله ، وفي سبيل نُصرة دينه ، وإحياء العمل بسنة حبيبهِ
المصطفى سيد المصلحين وإمام المتقين «صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم» - يَلْبِثُ
زُهاءً^(٢) عشرين عاما (من سنة ١٣١٣ إلى سنة ١٣٣١ هـ) لا بدَّ أن يُحاط بسياج^(٣)
متين ، وسور منيع يكفلان راحة من انضوا^(٤) تحت راية هذا الجهاد ولا شيء
أبقى لوحدة الأفراد من تكوين جماعة . وفي الحديث «ويدالله على الجماعة» أخرجه
الترمذى عن ابن عباس والبرزّار عن سُمرة بن جندب .

عُنى المؤلف في الأربعاء غرة المحرم سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف (سنة
١٣٣١ هـ) ١١ من ديسمبر سنة ١٩١٢ م بتكوين جمعية أسماها (الجمعية الشرعية :
لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية) ووضع لها قانوناً محكماً منظماً . موادّه
ترشد إلى عملى الدنيا والآخرة وتدعو إلى الحُسنيين . وقد سارت عليه الجمعية
بإشراف مجلس إدارتها تحت رئاسة المؤلف زُهاء رُبْع قرن (من سنة ١٣٣١ إلى
سنة ١٣٥٢ هـ) وهى تتقدّم باطراد كل عام بفضل رجالها الذين صفت نفوسهم ،
واعتمدوا على بارئهم فى جميع شئونهم ، يفرون من الكسالى المتعطلين والخالين
فرار السليم من الأجر ، وإذا فنشت بين صفوفهم فلا ترى متسوِّلاً ، ولا متسكماً
بل ترى كل من انضم إلى هذه الجماعة . قد شق لنفسه طريقاً فى الحياة يسلكه إلى عمل
مشروع . شأنُ المسلمين فى صَدْر الإسلام ، ومن بعدهم أيام غزتهم وصوّلتهم .

(١) (النبراس) المصباح . (٢) (زهاء) كغراب: أى قدر (٣) (السياج) ككتاب:

ما أحيط به على شيء (٤) (انضوا) أى انضموا ودخلوا .

آثار الجمعية

(الوعاظ . إنشاء المساجد . شركة المنسوجات الوطنية)

في مقدمة آثار هذه الجمعية الناهضة وُعَاظُهَا الذين يبلغ عددهم أكثر من مائتي واعظ اختارتهم من بين أفرادها المثقفين المدربين للقيام بتعليم العامة أصول الدين وفروعه في دروسهم ومحاضراتهم . لا يفترون عن غرس مبادئ الدين الصحيحة في نفوس إخوتهم المؤمنين واللين رائدhem . والرفق حليفهم والموعظة الحسنة ديدنهم . والحكمة وسداد الرأي قبلتهم . سُمَّعَاءُ حُنَفَاءُ ، لَامَشْدَدِينَ وَلَا مَعْسَرِينَ وَلَا مَتَنَطِّعِينَ وَلَا رَجَعِيَّينَ .

ولقد وضعت لهم الجمعية منشوراً عاماً يسرون على ضوئه . لا يلي أحدهم هذا المنصب الإسلامي الرفيع إلا بعد أن يتمهد كتابياً بالسير على مقتضاه . والمنشور كله خير مما يدل على أن الجمعية جد حريصة على المحافظة على الوحدة الإسلامية ، بعيدة كل البعد عما يوجب تفريقاً وانشقاقاً وصدعاً وانثلاماً . وإليك هذا المنشور العام بنصه . وهو والجمعية الشرعية توءمان ولدا عام التكوين (سنة ١٣٣١ هـ) ،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمد من وعظ نفسه قبل أن يعظ سواه ، والصلاة والسلام الدائم الأمان على كوكب الإرشاد ومنار الهداة ، وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم ابتغاء مرضاة الله .

(أما بعد) فقد رأت الجمعية الشرعية في حضرة الأستاذ الفاضل من المكانة الأخلاقية والعلمية ما يؤهله لأن يجوب فداً^(١) الأرض شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً يعظ المسلمين ، ويرشد الخاطئين ، ويدب عن دين الله شبه الضالين والمارقين . لذلك أسندت إليه هذا المنصب السامي مع علمها بخطورته (١) جمع فدفاً بوزن مكتب وهو الفلاة والمكان الصلب الغليظ والأرض المستوية :

ووعورة مسالكه . والجمعية ترجو منك أيها الأستاذ أن تتقى الله فيها وفي نفسك وفي المسلمين . فإنك قد أصبحت أميناً على دين الله ، مالكا زمام من ترشدهم تقودهم إلى حيث تريد . كَجَنَّتُهُمْ وَنَارَهُمْ بَيْنَ لَحْيَيْكَ^(١) . فيجب إذاً أن تجعل مركزك فوق مركز ذلك الطبيب الحاذق الذي يعطى من الأدوية لكل مريض ما يناسبه بمقادير خاصة لا ينقص ولا يزيد عليها شيئاً . يعرف أن التَّباب في طرفي الإفراط والتفريط . وإن الجمعية تُبَيِّح لك أن تغدو وتروح في تعليمك ، واضعاً نصب عينيك إفادة المسلمين ، مُتَدَلِّياً في ذلك من أهم إلى مهم فتبتدئ بغرس العقائد في نفوس من تباشر تعليمهم ، مراعيًا مذهب أهل السنة والجماعة ، بعيداً عن المشاغبات الكلامية والبراهين المنطقية لصعوبتها على أفكار العامة من الناس . وتردِّف ذلك بتعليم مالا بد منه من أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وتنسِّع هذا نهيمهم عما هو فاش في البلاد من المنكرات كترك أركان الإسلام وكالزنا والزنا وشرب الخمر والقتل وتعاطي كل مسكر من الأنبذة والحشيش والمنازيل . وتنهام أيضاً عن السرقة والغش والايثمان الفاجرة والنميمة والغيبة وسمّ البهائم وشق بطونها وحرِّق المزروعات وتقليعها ، والحسد والحقد والكبر والعجب والرِّياء والمراء . وتنهام أيضاً عن لعب الكاب المعروف والسَّيِّجة والطاولة والكُذَّشينة وغير ذلك من كل فعل باطنى أو ظاهرى قبيح . ثم تُعَرِّجُ بهم إلى رياض الآداب النبوية والأخلاق الحممدية كالْحِلْم والصبر والتواضع والكَرَم والرَّغْبَة عن الدنيا وفي الآخرة وحب الخير للمسلمين والسعى فيما يزيل الأخقاد من نفوسهم ، والتزاور في الله ، وإفشاء السلام ، والتعاون على البر والتقوى . وتعلمهم لباس النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأكله وشرابه وغير ذلك من كل خلق نبوى يتعلق بعبادة أو عبادة تمنحهم منه ما يطيقون . ثم تنحدر إلى ما يخالف ذلك من البدع فتنبه عليه حائلاً على اجتنباهم إياها ، اقتداءً بنبيهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم

(١) (الحي) عظم الحنك وهو الذى عليه الأسنان . وهو من الإنسان حيث بدت

الشعر . وهو أعلى وأسفل . ويجمع على ألح ولحى مثل فلس وأفلس وفلوس

وحباً في أدب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويُعْضاً لما سواه بعبارة يفهمها العام والخاص يَصْحَبُهَا التَّأْتِي ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ الْغَبِيَّ وَالذَّكِيَّ .

كل ذلك وَأَنْتَ رَحْبُ الصِّدْرِ ، حُلُوُ اللِّسَانِ ، طَلْقُ الْوَجْهِ ، أَزْهَدُ النَّاسِ وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ الْفُحْشِ فِي الْقَوْلِ ، تَسْعُ السَّفِيهَ وَالْجَاهِلَ وَالتَّمَعْنَتَ جَاعِلًا مَحْوَرَكَ الَّذِي يَدُورُ حَوْلَهُ الْكَلَامُ ، قَوْلَهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ سَيِّدِنَا لِقَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذْ يَقُولُ لِابْنِهِ ﴿ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْتَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ وَقَوْلَهُ تَعَالَى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)

وإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي مَوْضُوعٍ سِيَاسِيٍّ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ . وَحَسْبُنَا فِي ذَلِكَ حُكُومَتُنَا السَّنِّيَّةُ (حِفْظُهَا اللَّهُ وَقَوَاهَا) . وَمَعْلُومٌ أَنَّ الدِّينَ دِينُ اللَّهِ ، وَالْمَهْدَايَةُ لَدَيْهِ بِيَدِهِ لَا يَمْلِكُهَا سِوَاهُ . وَلَيْسَ عَلَيْنَا سِوَى أَنْ نُعَرِّفَ ، وَالْحَمْلُ عَلَى الْأُمُورِ وَالتَّعَبُّ لَتَنْفِيزِهَا خَارِجٌ عَنِ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا ، فَلَا تَتَعَرَّضُ لَهُ فَمَنْ سَمِعَ وَعَمِلَ فَانْخَبِرْ أَرَادَ لِنَفْسِهِ . وَمَنْ أَعْرَضَ عَنَّا وَتَرَكْنَا وَمَا نَأْمُرُ بِهِ ، فَانْخَبِرْ أَرَدْنَا ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ اتِّبَاعًا لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوَقُوفًا عَلَى مَا حَدَّثَهُ اللَّهُ لَهُ إِذْ يَقُولُ : - (إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) .

إنشاء المساجد

ومن آثار الجمعية التي تُفْتَبِطُ عَلَيْهَا ، إِنْشَاؤُهَا الْمَسَاجِدَ الْعَدِيدَةَ فِي مَدُنِ الْجُمْهُورِيَّةِ وَقُرَاهَا . وَفِي مَقْدَمِهَا الْمَسْجِدَ الْكَبِيرَ بِالْقَاهِرَةِ (فِي عِظَمَةِ الشَّيْخِ السَّبْكِ بِشَارِعِ الْخَيْمِيَّةِ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ بَابِ زَوَيْلَةَ « بَوَابَةِ الْمَتُولَى » وَجَامِعِ الْوَزِيرِ طَلَّاعِ بْنِ رُزَيْكَ الْأَثَرِيِّ) وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ بَنَائِهِ وَتَنْسِيقِهِ سَنَةَ ١٣٤٢ هـ . هَذَا الْمَسْجِدُ الْكَبِيرُ أَنْشَأَتْهُ الْجُمْهُورِيَّةُ فِي حَيَاةِ الْمُؤَلَّفِ « أَمَامَ دَارِهِ الْفَسِيحَةِ الَّتِي يُؤْمَرُهَا الْقَاصِي وَالِدَانِي » عَلَى قِطْعَةٍ أَرْضٍ تَبْلُغُ مَسَاحَتَهَا ثَلَاثَةَ أَمْتَارٍ وَمِائَتَيْنِ (٢٠٣ مِنْ الْأَمْتَارِ الْمُرَبَّعَةِ) وَفِيهِ تَصَلِّيُ الْجُمُعَةُ ، وَالصَّلَاةُ الْخَمْسُ كَصَلَاةِ الرَّسُولِ وَخَلْفَائِهِ وَمَنْ اسْتَقْوَاهُ مِنْ شَرْعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وعلى آله وسلم ؛ وكم كنت تُسرّ وينشرح صدرك حينما ترى الأستاذ المؤلف المرحوم بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع متربعا على كرسیه في تلك الرقعة البسيطة من الأرض يحتفُّ به حِزْبُ الله وجنود الله ، كأنما على رءوسهم الطيرُ . والشيوخ ينثر بينهم الدرر والجواهر من عظائمه البالغة ، ونصائحه الحكيمة بأسلوب واضح جليّ تصل آثاره إلى النفوس قبل الرءوس ، فيهديها ويحييها . وفي المجلس الحاشد العالم وغيره ، فيأخذ كل بغيته وفوق ما يتمنى . وما اقتصر المؤلف (تغمده الله برحمته) على موعظة هذا اليوم الأسبوعي . بل كان يُلقنى درسين في هذا المسجد بعينه ليلة الجمعة وليلة السبت من كل أسبوع في الحديث النبوي . فدرس سنن الإمام النسائي كلها . وجزءا غير قليل من سنن الإمام أبي داود . وما عاقه عن إتمامه إلا المنية أسبغ الله عليه الرحمة وعمه بالإحسان والرضوان .

وإنك لتعجبُ العجب كله وأنت متعلم مثقف حينما ترى الأمي الساذج يجلس بجوارك جنبا إلى جنب يتفهم أحكام الدين بسهولة من غير تكلف ومن غير ما حرج ! ألا إن هذا المسجد المؤسس على تقوى من الله ورضوانٍ ، ينادى المسلمين أن يفدوا إليه ليروا صورة مُكبَّرة لعهد أول الإسلام غير مشوبة بما يبرأ منه الإسلام ! والله تعالى يعلم أن الجمعية ما أرادت إنشاء مساجدها المتعددة في القاهرة وسواها من بلدان القطر ضِرازا ولا تفريقا بين المؤمنين ؛ بل ما قصدت الإرشاد السلم إلى عبادة نقيّة نائية عن الجلبّة والضوضاء والتهوُّش ، عبادة ملؤها الخشوع والخضوع لله الملك القدّوس ، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

هذا ، وإن مساجدها مُفتحة الأبواب من مطلع الفجر إلى ساعة متأخرة من الليل . يتردد إليها المسلمون على اختلاف طبقاتهم فيجدون إخوانا لهم رُحما فرحين مستبشرين !

المنسوجات الشرعية

ومن آثار الجمعية الميمونة تلك المنسوجات الشرعية الوطنية . التي كانت تصنع

بمصنع الجمعية ، وتباع في مركزها الرئيسي وفي الفروع التابعة لها . وهذه المنسوجات حسنة من حسنات المرحوم الإمام ، ورمز منه للنهوض بالمسلم الوطني في مصاف أبناء الغرب ؛ من يأخذون نبات التربة المصرية من قطن وكتان وغيرها بأبخس ثمن ، ويردونه إلينا منسوجا ، الدرهم منه بشرات الدنانير ! .

ومنسوجات الجمعية الشرعية من قطنك وكتانك أيها المسلم الوطني . فلا ترى فيها حريرا في حين أنها أجود من الثياب الحريرية ، ولا تنقل عنها نومة . وهي تنأى بلباسها عن الحرام والمكروه وما فيه ريبة واشتباه . فالبس منها إذا العقل الراجح ، وترحم على الإمام المؤلف الراحل . من خرج في المدرسة الشرعية المحمدية مسلمين عمليين . عبادتهم ومساجدُهم وملابسهم يضارع ما كان عليه سلف الأمة « رضى الله عنهم ورضوا عنه » . ظلت هذه المنسوجات سنوات طوالا ، وما استغنت عنها الجمعية وعن مصنعها إلا بمزاحمة المنسوجات الأخرى الوطنية الكثيرة

المؤلف يودع الأزهر

لبث الشيخ يدرس بالأزهر بعد نيله العالمية سبعا وثلاثين سنة من (١٣١٣ إلى ١٣٥٠ هـ) وما ترك الأزهر زهادة فيه ، بل حال بينه وبين مواصلة جهاد فيه ، إحالة مجلس الأزهر الأعلى له على التقاعد بجلسة يوم الخميس الخامس من جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ هـ الموافق ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٣١ م وإنها جلسة صارخة روّعت فداحتها العالم الإسلامي أجمع ، إذ بلغ فيها عدد الحالمين إلى المعاش والمفصولين من الأزهر والمعاهد الدينية سبعين عالما . كثير منهم في مقتبل العمر ، ونضرة الشباب ، وبذا نكل المجلس بسبعين أسرة ، وسامها سوء العذاب !! وكان ذلك في عهد حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الأحمدى الظواهري شيخ الأزهر ورئيس مجلسه الأعلى . وفي عهد رئيس الوزراء حضرة صاحب الدولة إسماعيل صدق باشا . ولا تمدنك نفسك أن الشيخ مال إلى الراحة بعد نصب وطول سهاد^(١)

(١) (السهاد) بضم السين الأرق . وبابه طرب .

كما مال غيره من المعمرين . بل ما زال عاكفاً على العمل ، في داره بين مسجده الزاهر ، ومكتبته العامرة ، ومؤلفاته القيمة ، وجمعيته الشرعية الميمونة ، وتلامذته العديدين الوافدين إليه يغترفون من منهل العذب ، ويحيطون به إحاطة الهالة بالتمر في مجلسه الخاص بعد عصر كل يوم ، ويعلمون جميعاً حياءً وأدباً جمّاً من هيبة الشيخ وجلاله . وما يمنعونهم حياؤهم السؤال عن مهمة دينية أو دنيوية . ومن جلس منهم لا يفك حيوته إلا مؤذناً للمغرب ، يدعو إلى الوقوف بين يدي الحى القيوم !!

المؤلف يودع الحياة

وما طالت حياة الشيخ بعد وداعه الأزهر ، إنها لمدة قصيرة : سنتان إلا نحو شهرين . في نهايتها يزوره الموت الزّوام . وما اشتكى ألماً ، وما انقطع عن عمله الموصول ، ولا عن مجلسه الخاص إلا بعد عصر الخميس الثالث عشر من شهر ربيع الأول عام اثنين وخمسين وثلثمائة وألف (١٣ من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ هـ) .

وفي صبيحة يوم الجمعة الرابع عشر منه ، أطل على بعض تلامذته من نافذة حجرته ، فنأوله آخر ملزمة من الجزء السادس من شرحه لسنن الإمام أبي داود (المنهل العذب المورود) كان يصححها لترسل إلى مطبعة الاستقامة . ولما حان وقت صلاة الجمعة ، أخذ القوم يلتفتون يمنة ويسرة ، عليهم يحظون بطولع الشيخ عليهم متقدماً إلى الصف الأول ، يستمع إلى الخطيب ، ويؤدي صلاة الجمعة ويعظهم بعدها كمادته . فما حظوا ، وارتد البصر منهم وهو كليل !! وما حسبوا أن فقدانهم الشيخ هذه الساعات ، يكون فقداناً لا رجعة بعده ، ولا لقاء إلا يوم اللقاء !!

ساعة الوداع :

وفي منتصف الساعة الثانية بعد ظهر (الجمعة ١٤ من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ هـ) ، (٧ من يولييه سنة ١٩٣٣) لفظ الشيخ آخر نفس من أنفاسه الطاهرة ، وجاد بروحه العظيمة

الوثابة المتفانية في نصرة الدين والسنة المطهرة ، لا يبتغى شهرة ولا أثره^(١) وكان النبأ مروّعا ، وكانت الفاجعة أليمة ، والكارثة عظّمة ، والخسارة غير هيّنة وليست على مسامى مصر فحسب ، بل على مسامى الشعوب التي عرفت مكانته ، وانطوت قلوبهم على محبته ، وعلى العمل بما كان يدعو إليه من خير العمل . وكم كانت دهشة الناس وحيرتهم بهذا النبأ المزّيج إذ فقدوا إمامهم ومَحَطَّ آمالهم ، من كانوا إليه يهرعون . وبدعوته إلى العمل بالدين الحق يسارعون . وكم كانت آلامهم التي تفتّت الأكبّاد ، وتصدّع الأفئدة ، وتحزُّ حنايا^(٢) الضلوع ، حينما وثّقوا أنّ الشيخ يُنتزع من بينهم انتزاعا إلى مقره الأخير ، إلى روضته النّديّة . إلى جدّته مهبط الرحمة والرضوان ، بعد أن صلى عليه أكبر أنجاله الكرام الأستاذ السيد أمين ، يؤمّ الجَمَّ الغفير ممن وصل إليه النبأ من سكان القاهرة ، وهم قلّ من كثر من تلامذته ومحبيه المنتشرين في القاهرة وضواحيها وبلدان القطر وغيره من الأقطار العربيّة .

تشييع الإمام انراحل إلى قبره .

صلى عايه هذا الجَمّ الغفير في ساحة داره الواسعة بجوار مسجده المعمور . ثم أخذ الناس يتهافون على حمل سريره كلما مر عليهم . وكنت ترى الشوارع مُكَيّظَة تموج بهم مَوْجا . حتى إن السرير كانت لا تُبصره العيون من ازدحام الجَموع المشيعة ، وكلهم تبدو على وجوههم علائم الأسى والحزن !! واخترقت الجنازة في سيرها شوارع الخيمية ، والفُوريّة ، والسكّة الجديدة ، والمشهد الحسيني ، والدراسة ، وقرافة المجاورين ، وخَوَند طُولبائى والسلطان أحمد ثم شارع قرافة باب الوزير . وفيه مدفن المرحوم إبراهيم باشا حليم . ثم انعطف السائرون يمّنة مخترقين شارع حسن بك حُسنى . وفيه على يسارهم المقبرة الشرعية ،

(١) (الأثره) بفتحتين ، اسم من استأثر بالشيء استبد به .

(٢) (تحز) أى تقطع الضلوع الشبيهة بالحنايا جمع حنية كفية وهى القوس .

للعاملين بالكتاب والسنة المحمدية والمقبرة في منطقة قرافة المجاورين حسب التخطيط الجغرافي ، رَسَم مصلحة المساحة المصرية . وفيها لَحْدٌ شرعيّ ، بُنِيَ في عهد الإمام الراحل ، واختاره مسكننا له في آخرته أسلمه مشيعوه إليه وعادوا بعد المغرب ما بين ذاهل وواجم !!

طريقان آخران للمقبرة الشرعية

الطريق الأول يتبدى سالكة السير من المنشية مارًا بسكة المحجر على مسجد الحمودية^(١) وعلى يمينه أسوار قلعة محمد علي باشا^(٢) . ثم يتجه إلى الشمال مخترقا شارع الحجر حتى يصل إلى حارة باب التربة . وهي عن يمينه ، وبها سبيل ومسجد طراباى عن يساره . ثم يُنفذ من باب الوزير الأثرى إلى شارع قرافة باب الوزير متجهاً إلى الشمال الشرقى ، فيلتقى عن يمينه بثلاثة قبور داخل مستطيل من أعواد حديدية لا سقف له . هذه القبور الثلاثة أنشأتها مصلحة التنظيم المصرية لحفظ رُفَات بعض الأولياء الذين عَثَرَتْ عليهم ، وهي تهدم بعض الشوارع لتجديدها وتوسيعها (أمّا القبر الأول) ففيه (١) ولى الله الشيخ محمد العراقى المنقولة رُفَاتُهُ^(٣) يوم الأربعاء ٣٠ من ربيع الآخر سنة ١٣٤٦ هـ . ومعه ولى الله الشيخ محمد أبو قوطة ، وجثة أخرى نقلها يوم الأحد ١٨ من رمضان سنة ١٣٥١ هـ (ب) سيدى محمد الخواص نقلت رفاتة يوم الثلاثاء ١١ من رمضان سنة ١٣٥١ هـ وكان أولا بحارة الخواص . بشارع الإنبائى تبع قسم باب الشرعية (والقبر الثانى) به ولى الله الشيخ محمد الشافعى الرفاعى الشهير بالأربعين . نقلت رفاتة يوم الأربعاء ٢ من شعبان سنة ١٣٤٣ هـ . وكان أولا بجَنينة قاميش بشارع الخليج المصرى تبع قسم السيدة زينب (والقبر الثالث) به السيدة غُنْيا بنت نور الدين أبى بكر المتوفاة

(١) نسبة إلى الأمير محمود كان حاكما على مصر سنة ١٥٤٦ م وأنشأ مسجده عام ٩٧٥ هـ وقتل بمقدوف نارى يوم الأربعاء آخر جمادى الأولى سنة ٩٧٥ هـ ودفن بترته في جامع المظل على ميدان الزميلة .

(٢) أنشأ مسجده بالقلعة سنة ١٢٤٦ هـ (٣) المراد بالرفات الجنة .

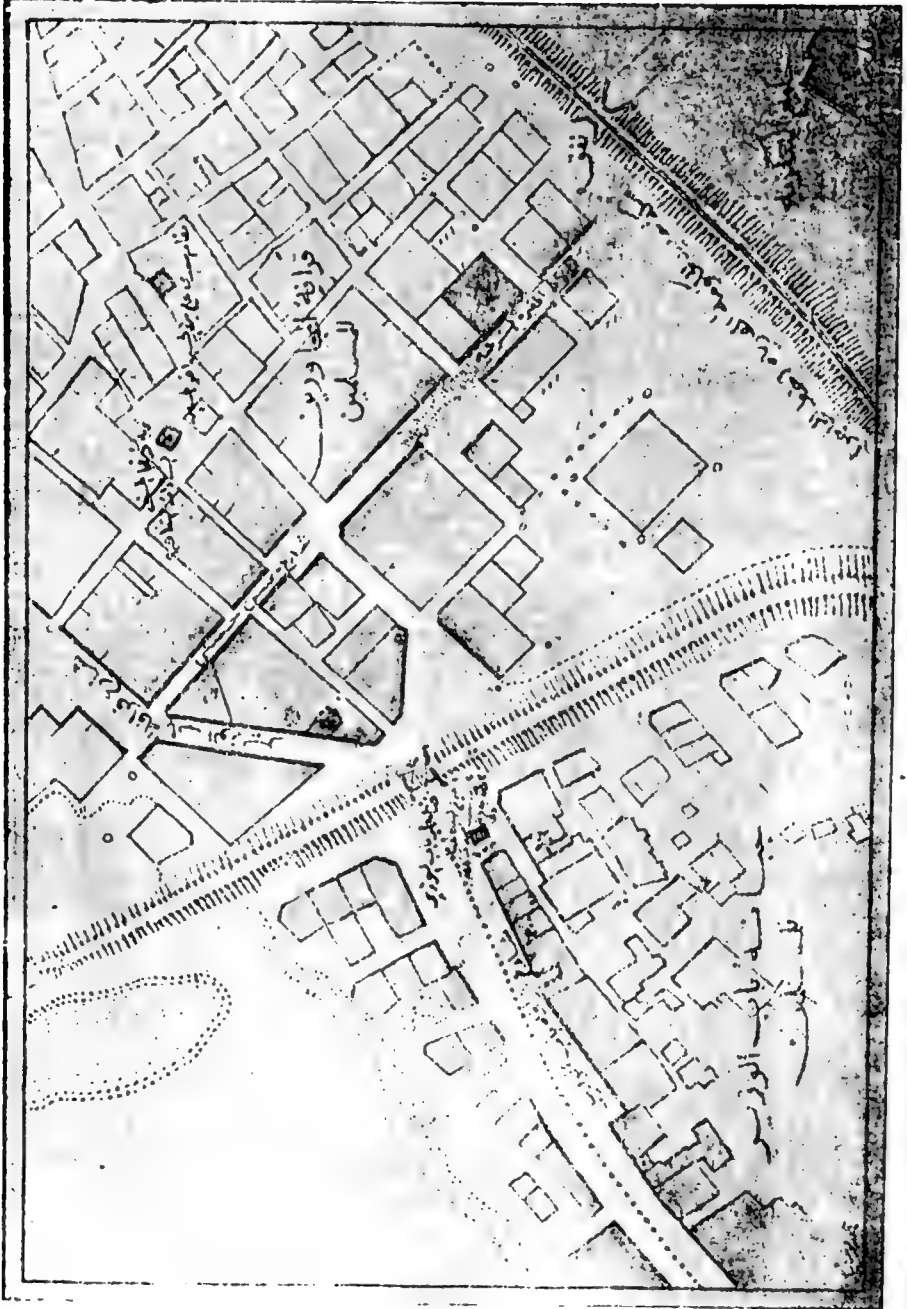
أول ذى الحجة سنة ٦٦٤ هـ نقلت رفاتهما من شارع عاكف بالعباسية يوم الاثنين ٢٩ من رجب سنة ١٣٤٣ هـ .

والمسافة من باب الوزير إلى مقبرة مصلحة التنظيم تقدر بكيلومتر تقريباً وتقطع في عشر دقائق . وأمام هذه المقبرة قناطر باب الوزير تعلوها سكة حديدية قديمة مَعْطَلَةٌ الآن . ينفذ السائر من القناطر متجهاً إلى الشمال مسافة تسعين متراً في شارع قرافة باب الوزير نفسه . ثم ينعطف عن يمينه فيجد شارع حسن بك حسنى فيسلكه متجهاً إلى الجنوب الشرقى ، قاطعاً مسافة قدرها ٢٤٥ متراً في نهايتها المقبرة الشرعية المذكورة . وعلى مسافة ثمانين متراً من باب المقبرة يرى الناظر سكة حديد الحكومة المصرية (خط الحاجر) كما يرى جامع التَنكِيزِيَّة الأثرى في الجنوب الشرقى ، وَيَبْعُدُ عن السكة الحديدية بمقدار سبعين متراً (انظر المصورَ الجغرافى شكل (١)) المبتدأ من منتصف شارع قرافة باب الوزير) .

الطريق الثانى

يبدأ سالكه من باب زويلة^(١) الأثرى (الشهير بباب التولى^(٢)) ماراً بشارع الدرب الأحمر ، وعن يمينه نقطة بوليس الدرب الأحمر ، وأمامه مسجد أبى حُرَيْبَةَ ثم ينعطف ذات اليمين فيلتقى بشارع التبانة . وبه مسجد الماردانى . وعلى مسافة خمسين ومائة متر يجد زاوية عارف باشا . وهى فى مُلتَقَى شارِعِ سُوْق السِّلَاح وباب الوزير . ثم يسلك شارع باب الوزير متجهاً إلى الجنوب حتى يصل إلى حارة باب التُّرْبَة وبها سبيل ومسجد طراباى ، كما تقدم فى وَصْف الطريق الأول .

- (١) أنشأه بدر الجمالى وزير المنتصر بالله الفاطمى سنة ٤٨٤ هـ . وأنشأ قبله بابى النصر والفتوح سنة ٤٨٠ هـ . ومات الوزير بدر والخليفة المنتصر بالله عام ٤٨٧ هـ .
- (٢) للعامة خرافات كثيرة بباب التولى إذ يعتقدون أن ولياً اسمه التولى يسكنه وهو غير صحيح .



مصور جغرافي (شكل ١) يبين موقع القلعة الصربية للعاملين بالكتاب والسنة الحمديّة (هـ) من قرافة الحاورين

وصف المقبرة الشرعية

قبل أن أصف لك المقبرة الشرعية ، أبين لك الغرض الذى من أجله أنشأها
المرحوم الشيخ الإمام « تغمده الله برحمته » :

إن مقابر المسلمين ليست كُلُّها على النظام الدينى المشروع ، فإن منها أضرحةٌ
مرتفعة مكسوة تعلوها الأقبابُ أعدوها للأولياء والصالحين ، وهم منها برّاء
(ومنها) مدافن الأثرياء والوجّهاء والعظماء يبذلون فى تشييدها القناطير المقنطرة
من الذهب والفضة (ومنها) مقابر الطبقات الأخرى وهى قليلة النفقات ، غير أن
ارتفاعها عن سطح الأرض أكثر من ذراع فى حين أن القبر الشرعى لا يزيد
ارتفاعه عن ذراع كما بينته كتب السنة المطهرة ، وقد بين السلف الصالح والقادة
من العلماء والأئمة كيف تكون القبور الشرعية . ولقد رأى المرحوم الشيخ
الإمام قبور زمانه مخالفة قبور السلف ، فلألّ الحزن قلبه ، ورأى لزماً عليه أن
يبين للناس عملياً صورة القبور الشرعية التى تضم أجساد المسلمين بعد مفارقتهم
قصور الدنيا وما فيها من زخارف حتى يمكنهم أن يجعلوها لهم مثلاً يحتذونه ،
فأمر رحمه الله عليه فى سنة ١٣٣٩ هـ باستصدار إذن من محافظة مصر بأخذ قطعة
أرض مربعة الشكل طول ضلعها أربعة وعشرون متراً فى منطقة قراقة الجاورين ،
لإقامة مقابر شرعية عليها ، وما جاءت سنة ١٣٤٦ هـ إلا وقد بنى بها ثمانية
وثلاثون قبراً شرعياً تكون منها ثلاثة صفوف وكانت هذه المقبرة هى الأولى ،
ولما امتلأت ، سعى خليفة الإمام (أمد الله فى أجله) إلى تشييد المقبرتين الثانية
والثالثة ، وهما فى الشارع الأخير يسلكه المارّ عن يمينه إلى الجنوب (الجهة
القبليّة) وبجوارها مقبرة آل طعيمة ، ومقبرة الثوّبيين .

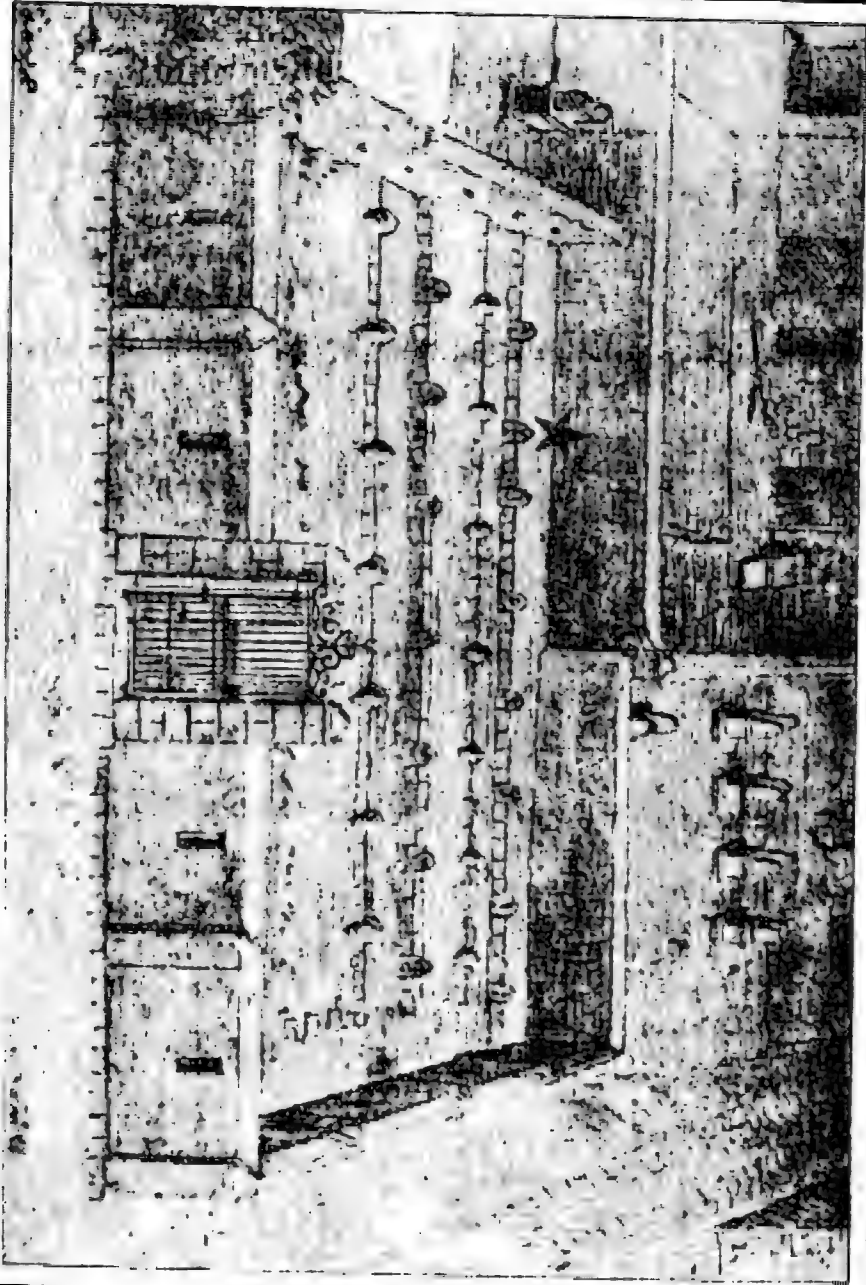
الوصف

للمقبرة الشرعية باب حديدي مرتفع في الجنوب والمقبرة مكونة من ثلاثة صفوف : الصف الأول تجاه الباب به ستة عشر قبراً : ثمانية قبور متجهة إلى الشمال وثمانية تتجه إلى الجنوب ، والصف الثاني به أربعة عشر سبعة اتجاهها شمالي ، وسبعة اتجاهها جنوبي . والصف الثالث به ثمانية فقط تمتد إلى الجنوب مرقومة من الرقم (١) إلى الرقم (٨) .

أين قبر الإمام ؟

يمرّ الزائر على القبور بالصف الثالث من (١) إلى (٦) فإذا ما جاوز السادس وجد قبر المرحوم الشيخ الإمام مرقوماً بالرقم (٧) وهو المشار إليه بعلامة (*) بالشكل رقم (٢) المنظور الطبيعي من عمل تلميذ محب مخلص من تلامذته ، وهو الرسام الماهر السيد الأستاذ أحمد يوسف الموظف بمصلحة الآثار، وقد رُقّي إلى وكيل مصلحة الآثار ، وأسندت إليه أعمال فنية هامة في منطقة أهرام الجيزة « أجزل الله تعالى له الثواب » .

والقبر الثامن : لزوج الإمام وهي أول من دُفن بهذه المقبرة (رحمة الله عليها) وقد لحقت بها الزوجة الثانية الصالحة للمرحوم الإمام ، وعاشت بعده تسع سنوات ثم لحقت بهما السيدة التقية زوج خليفة الإمام ، وشريكته في الحياة بعد معاشرة طال مداها . وكان ذلك في صفر سنة ١٣٧٥م هـ - سبتمبر ١٩٥٥ (طيب الله ترأهن ونورهن روضتهن) . وإن ضريح الإمام الراحل تعلوه الهيبة ، والسكينة ، والرحمة ، ونور الجهاد لا نور القباب . وإن كان في رأى العين غير مرفوع فهو عند الله مرفوع . وإن الناظر إليه تستولى على مشاعره الخشية ، يحوطها الاتعاظ ، ويبدو له ضريح متواضع لا يزيد عن مترين في متر قد ضمَّ جثمان إمام ذائع الصيت ؛ لو وضع فيه جهاده مجسماً وإرشاده كذلك ما وسَّعه !!



منافور طابى (شكل ٧) : بين ضريح حضرة الإمام عبي الله صاحب النبية المرحوم السيد محمود عبد خطاب الشيكردى ١٢٧٠ هـ تحت علامة (*)

شيوخ الأزهر الذين عاصرهم الشيخ الإمام طالباً ومدرساً

أدرك من شيوخ الأزهر عشرة (١) المرحوم الشيخ محمد المهديّ القَبَّاسيّ الحنفى ، الذى استقال من مشيخة الأزهر سنة ١٣٠٤ هـ . (٢) ثم المرحوم الشيخ شمس الدين محمد الإنابى الشافعى ، الذى استقال لمرضه يوم ٢٥ من ذى الحجة سنة ١٣١٢ هـ . (٣) والرحوم الشيخ حسونة بن عبد الله النواوى^(١) الحنفى . أسندت إليه الرياسة فى الحرم سنة ١٣١٣ هـ — وفى رجب من هذه السنة ، نال المؤلف شهادة العالمية بعد أن أدى الامتحان أمام أعضاء اللجنة السالفة أسماؤهم — وبقي الشيخ النواوى رئيساً للأزهر إلى أن فصل فى ٢٥ من الحرم سنة ١٣١٧ هـ . (٤) والرحوم الشيخ عبد الرحمن القُطْب النّواوى الحنفى . وتوفى فجأة بعد شهر واحد . (٥) ثم تولى شيخ الإسلام المرحوم الشيخ سليم البشريّ^(٢) المالكي يوم الخميس ٢٨ من صفر من هذه السنة . واستقال فى ذى الحجة سنة ١٣٢٠ هـ . (٦) خلفه المرحوم السيد على بن محمد البيلّاوى^(٣) المالكي ، واستقال فى الحرم سنة ١٣٢٣ هـ . (٧) خلفه المرحوم الشيخ عبدالرحمن الشّرّبيّ الشافعى ، واستقال فى ذى الحجة سنة ١٣٢٤ هـ . ثم عاد للرياسة المرحوم الشيخ حسونة النواوى واستقال سنة ١٣٢٧ (وتوفى يوم ٢٤ من شوال سنة ١٣٤٣ هـ) . ثم عاد للرياسة المرحوم الشيخ سليم البشريّ ولبث إلى أن توفى ظهر يوم الجمعة ٤ من ذى الحجة سنة ١٣٣٥ هـ . (٨) فأسندت الرياسة إلى الشيخ محمد أبى الفضل الوراقى الجيزاوى المالكي يوم ١٤ من ذى الحجة من هذه السنة . وتوفى (رحمة الله عليه) فى الحرم سنة ١٣٤٦ هـ . (٩) وفى غرة ذى الحجة من هذه

(١) نسبة إلى نواى مركز ديروط محافظة أسيوط .

(٢) نسبة إلى محلة بشر مركز شبراخيت محافظة البحيرة .

(٣) نسبة إلى بيلاو مركز ديروط .

السنة أسندت إلى الشيخ محمد مصطفى المراغي^(١) الحنفى . وقد استقال يوم الثلاثاء ٦ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٨ هـ . (١٠) فأسندت للشيخ محمد الأحمدى الظواهري بعد ذلك بيومين واستقال يوم الجمعة ٢٣ من الحرم سنة ١٣٥٤ هـ . (٢٦ من أبريل سنة ١٩٣٥ م) وتوفى بمنزله فى الزيتون مساء السبت ٢٠ من جمادى الأولى ١٣٦٣ هـ . (١٣ مايو ١٩٤٤ م) ودفن فى مقبرته بقرافة المجاورين على مقربة من قبر المرحوم شمس الدين الإنبائى . وفى عهده أحيل الشيخ الإمام إلى المعاش ، ولحق بجوار ربه العلى الأعلى .

الشيوخ الذين تلقى عنهم المؤلف

هم كثيرون . من بينهم حضرات أصحاب الفضيلة شمس الدين الإنبائى الشافعى والشيخ سليم البشرى المالكى ، والشيخ أحمد الرفاعى المالكى . والشيخ إبراهيم الظواهري الشافعى — من عين آخر حياته شيخاً للجامع الأحمدى قبل النظام الحديث سنة ١٣١٢ هـ . وتوفى سنة ١٣١٤ هـ — ١٩٠٦ م .

أنجال الشيخ الإمام :

أعقب رحمه الله خمسة أشبال حاطهم برعايته ، وأدبهم فأحسن تأديبهم ، وغذاهم بروحه الوثابة المجددة الجريئة غير الهيباء . فكانوا فى مقدمة النابغين الذين يشار إليهم بالبنان تلامذة ومدرسين (أو لهم) المرحوم الشيخ محمد . التحق بمدرسة دار العلوم بعد إتمام دارسته بالأزهر . وتخرج فيها سنة ١٣٢٦ هـ الموافقة (١٩٠٨ م) وعين مدرساً بمدارس الحكومة ثم بالمدرسة الثانوية بطنطا التابعة حينئذ لمجلس المديرية . ثم بالمدرسة الثانوية بشبين الكوم التابعة وقتئذ للجمعية المساعى المشكورة ثم اشتغل محامياً شرعياً . فكان مثال الجد والنشاط والصدق والنزاهة والدفاع عن الحق حتى يظهر ويزهق الباطل . ثم توفى (رحمه الله عليه) فى حياة والده فى

(١) نسبة إلى مراغة مركز من محافظة سوهاج .

السادس عشر من شعبان سنة ١٣٣٥ هـ الموافق ٤ يونيو سنة (١٩١٧ م). وقد كان معروفاً بين أقرانه بسببويه زمانه (وثانيهم) الأستاذ الشيخ أمين. ولد بسبك الأحد سنة ١٣٠٤ هـ. وفي شوال سنة ١٣١٤ هـ التحق بالأزهر. وبعد إتمام الدراسة به تخرج فيه يوم السبت التاسع عشر من شهر رجب سنة ١٣٢٩ هـ - ١٥ من يوليه سنة ١٩١١ م. وفي شوال سنة ١٣٣١ هـ - سبتمبر سنة ١٩١٣ م أذى امتحاناً في العلوم ارباضية، فجازاه بتفوق فعين مدرساً للجغرافية والتاريخ بالقسم النظامي بالأزهر. ثم أسند إليه دراسة العلوم الشرعية والعربية بالأزهر والمعاهد. وهو قائم بما يسند إليه خير قيام، مثال الجد والنشاط والذكاء. ولما اكتمل السبعين عاماً أحيل إلى التقاعد يوم الثلاثاء ٢٢ من رجب سنة ١٣٧٢ هـ ٧ من أبريل سنة ١٩٥٣ م (أمد الله تعالى في أجله المبارك).

(وثالث) الأنجال الشيخ شرف الدين. التحق بالأزهر في شوال سنة ١٣١٤ هـ وهو ابن تسع سنين فتغذى فيه بلبان العلوم الأزهرية ثم التحق بمدرسة دار العلوم في الثامنة عشرة من عمره وتخرج فيها سنة ١٣٢٨ هـ سنة ١٩١٠ م وكان أول فرقته في كل السنين فاختير للبعثة الأوربية فسافر بعد إذن والده رغاباً في الثقافة العربية وعاد محافظاً على دينه وأخلاقه فزاول التدريس بمدارس الحكومة ثم اختير مدرساً بكلية دار العلوم. ثم عين مفتشاً بالمدارس الثانوية بوزارة المعارف سنة ١٣٥٤ هـ. وفي أبريل سنة ١٩٤٧ أحيل إلى المعاش لبلوغه الستين. ثم لحق بربه مساء الخميس ٦ من ذى القعدة سنة ١٣٧٠ هـ ٩ من أغسطس سنة ١٩٥١ م. وصلى عليه أخوه خليفة الإمام ووراءه الجم الفقير قبل صلاة الجمعة ٧ من ذى القعدة سنة ١٣٧٠ هـ. وأودع مقره الأخير في القبر رقم ٩ من مقبرة المرحوم والده الإمام.

(ورابع) الأنجال الأستاذ الشيخ عبدالحليم. التحق بالأزهر في شوال سنة ١٣١٤ هـ وهو ابن تسع سنين. ولما أخذ قسطاً وافراً من العلوم الأزهرية التحق بمدرسة

دار العلوم في التاسعة عشرة من عمره. وتخرج فيها سنة ١٣٢٩ هـ الموافق سنة ١٩١١ م فعين مدرساً بمدارس الحكومة. ومنها المدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا ثم نقل مدرساً بدار العلوم سنة ١٣٥٤ هـ. ثم مدرساً في كلية البنات بالزمالك. ثم لحق بربه مساء الثلاثاء وصلى على جثمانه الجرم الغفير آخر ظهر الأربعاء ٩ من رمضان سنة ١٣٧٣ هـ - ١٢ من مايو سنة ١٩٥٤ م وأودع مقره الأخير بجوار أخيه الرحوم الشيخ شرف الدين. (وخامس الأنجال) الأستاذ عبد الحكيم. التحق بالأزهر في السنة الثانية عشرة من عمره ومكث به حتى نال الشهادة الأولية والتحق بالقسم الثانوي به ثم التحق بدار العلوم وتخرج فيها سنة ١٣٤٤ هـ. فعين مدرساً بمدارس الحكومة. ثم اختير للتدريس بمعهد التربية بالجيزة وأخذ يرقى حتى كان ناظر مدرسة القسطنطينية الثانوية بمصر القديمة. وأحيل إلى التقاعد في مارس سنة ١٩٦٢ م.

تلامذة الرحوم الشيخ الإمام :

طوال تلك المدة التي قضاها الشيخ الإمام مدرساً بالأزهر المعمور تخرج على يديه فيها الجرم الغفير من تلامذته الأفاضل النجباء ومن مشاهيرهم حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة الأجلاء : الشيخ عبد الحميد سليم. وقد أسندت إليه رئاسة الأزهر لأول مرة يوم السبت ٢٤ من ذي الحجة سنة ١٣٦٩ هـ . ٧ من أكتوبر سنة ١٩٥٠ م. ثم أعفي منها ثم عاد لرئاسة الأزهر يوم السبت ١٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٧١ هـ - ٩ من فبراير سنة ١٩٥٢ م. واستقال في يولييه سنة ١٩٥٢. ولزم داره حتى وافته منيته يوم الخميس ٩ من صفر سنة ١٣٧٢ هـ - ٧ من أكتوبر سنة ١٩٥٢ م. أجزل الله له المثوبة ومنهم الرحوم الشيخ فتح الله سليمان رئيس المحكمة الشرعية العليا سابقا. والرحوم الشيخ عبد السلام البحيري كان عضوا بالمحكمة الشرعية العليا. وتوفي عام ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ (رحمه الله عليه) والرحوم

الشيخ على محفوظ كان مدرسا بكلية أصول الدين^(١) والشيخ سليمان نوار (عميد كلية اللغة العربية سابقا) والشيخ محمود العمراوى (المفتش بالجامعة الأزهرية) وغير هؤلاء كثير ممن يدرس بالأزهر والمعاهد الدينية ومدارس الحكومة، ومن يلى مناصب القضاء الشرعى . ومن تلامذته غير الموظفين كثير من العلماء الأجلاء القائمين بالوعظ والإرشاد على سَنَنِ أستاذهم الراحل .

خليفة الإمام :

كثيراً ما تحدثتُك نفسك إذا ما وقفت على سيرة الإمام - بمن كان يخلف هذه الشخصية البارزة التى لم يُمهلها الزمان . وإن السرور ليملاً جوارحك والبشر لئير وجهك إذا ما علمت أن خليفة الإمام هو شبل الإمام ثانى الأنجال فضيلة الأستاذ الشيخ أمين . وهو بحق خير من يخلف أباه (ومن يشابهه أبه فما ظلم) (إن هذا الشبل من ذاك الأسد) ولقد أجمع تلامذة الإمام كلمتهم من ثانى يوم الوفاة على اختياره للقيام بأعباء هذه المنزلة السامية . فكان قائداً لعشرات الألوف من المتمسكين بدينهم ، سائراً على النهج الحميدى الذى كان يسير عليه والده ، متما بعض المؤلفات التى بدأها ، محافظاً جد المحافظة على من كان يرعاهم والده ، وهو فى ذلك كله الحليم الحازم ذو الهمة التى لا تعرف سامة ولا مللاً ، ويشرف على الأمور دقيقتها وجليلها بأمانة ونزاهة . ينتقل فى العاصمة وضواحيها والبلاد النائية لإرشاد الناس إلى التمسك بمبادئ دينهم الحنيف حتى يعود إليهم مجد أسلافهم ، وعزة آبائهم الأقدمين .

وختاماً أسأل الله الرحيم أن يتعمد المرحوم الشيخ الإمام برحمته ، ويصُبُّ على رَمْسِهِ شآبيبَ رضوانه ، ويسكنه فسيح جناته . وأن يبارك فى خليفة ويمد فى أجله متمعاً بوافر العافية ، ودائم التوفيق . والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على خاتم النبيين . وآله وصحبه والتابعين .

(١) وتوفى رحمه الله مساء الأربعاء ٢ من ذى القعدة ١٣٦١ هـ - ١١ نوفمبر

مقدمة الطبعة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الخامسة

الحمد لله رب العالمين الذي ألهم الذاكرين ذكره والشاكرين شكره والحامدين حمده وأنابهم من فضله واستخدمهم في طاعته وتقبل أعمالهم بنعمته . يرفع من يشاء إلى رفيع الدرجات باتباع سيد الكائنات . والصلاة والسلام على الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم صلى الله عليه وعلى آله أجمعين .

أما بعد :

فقد دعت الضرورة إلى إعادة طبع كتاب الدين الخالص الجزء الأول وذلك لتصحيح ما وقع في الطبعة الرابعة من أخطاء لا تفتي .

وقد من الله سبحانه وتعالى علينا بالاطلاع على الطبعة الرابعة قبل أن تصل إلى أيدي الناس فصوبت الأخطاء الظاهرة في ملزمة ألحقت بالطبعة المشار إليها وذلك مداركة لما ليس منه بدمع إبداء الأسف لما حدث .

وقد مكن الله سبحانه وتعالى أسرة الإمام من السيطرة على المقاليد وانتهى إليهم بحمد الله الإشراف على هذه المطبوعات فكان لزاماً عليهم أن يبيدوا الطبع على نحو ما كان يجب أن يتم . فجرى تصوير الطبعة الثالثة التي طبعت في مطبعة السعادة في سنة ١٣٨٤ هـ ضماناً للدقة والتزاماً بما تم تصحيحه على يدي فضيلة الإمام الأمين رحمه الله تعالى حيث الدقة وأمانة البحث فالحمد لله رب العالمين الذي بنصته تتم الصالحات .

أما المقدمة الأولى التي كتبها فضيلة الأستاذ الشيخ أبو القاسم إبراهيم أبو القاسم رحمه الله تعالى وحزاه خيراً والتي حررت في حياة الأستاذ الإمام أمين محمود خطاب صارت الآن في حاجة إلى تعديل . فقد تغيرت الأمور فرأى بعض النابهين استبقاء المقدمة التي صدرت أول الأمر كما هي دون تعديل لأنها تحاكي الحال في حياة محرر المقدمة ونصحوا بتحرير مقدمة لهذه الطبعة الخامسة ، تصوب فيها بعض المعلومات التي طرأت على الترجمة المحررة عن الإمام المؤلف رحمه الله تعالى . وطلبوا مني تحرير مقدمة إضافية . جزاهم الله خيراً ولهذا أشير إلى :

إن أول معالم التخيير هو وفاة الإمام الشيخ أمين محمود خطيب نجل المؤلف وخليفته في إمامة جواهر أهل السنة . ذلك الإمام الذي شب مع الدعوة وسائر مراحلها

وقد ذكرت بعض ترجمته في آخر الجزء الثامن من هذا الكتاب فذكرت أنه ولد بسبك الأحد مركز أشمون منوفية في ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٧ م والتحق بالأزهر فحضر على شيخه وحصل على العالمية في رجب سنة ١٣٢٩ هـ / يونية سنة ١٩١٦ م فعين مدرسا بالمعاهد الدينية الأزهرية بالوجهين القبلي والبحري والقاهرة ثم عين أستاذا بكلية الشريعة ثم بكلية أصول الدين وتلذذ على يديه الدعاة والوعاظ والعلماء .

وقد شارك في الدعوة إلى الكتاب والسنة فكان وكيلا للجمعية الشرعية ثم تولى الإمامة عقب وفاة والده وعنى بالبحث العلمي والتأليف فحقق وعلق وشرح أجزاء الدين الخالص ثم أضاف مؤلفه الذي نشره من قبل تحت عنوان إرشاد الناسك إلى أعمال الناسك في حجم الربع ليكون يسد الحاج يحمله معه في سفره ولكنه أعاد طبعه بحجم كتاب الدين الخالص وجمله جزوا تاسما وسماه للدين الخالص أو إرشاد الناسك إلى أعمال الناسك بالإضافة إلى تخريج الأحاديث الواردة في مؤلفات والده .

كما شرع في تكملة كتاب المنهل العذب المورود في أربعة أجزاء كبار . وقد خطت الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية في هذه خطوات واسعة . ونمت فروعها وازدهرت مؤسساتها وصارت أكبر الجمعيات العاملة في الحقل الإسلامي في مصر بل وفي الشرق العربي كله ، وذلك بفضل دأبه وسهره وانتقالاته إلى أنحاء البلاد مطلقا وواعظا وداعيا . كما كان يرمى مشروعات الفروع ومنشأتها وجاهد في سبيل الدعوة ونشر السنة بالحكمة والموعظة الحسنة حتى ترك لنا تراثا دينيا عظيما .

فلما أنقلت كاهله السنون والشيخوخة والمرض لم ينقطع عن تلاوة القرآن الكريم وهو على الفراش حتى توقف القلب الكبير وارتعلت الروح الطاهرة إلى الرفيق الأعلى عصر يوم الإثنين ٢٧ من ذى القعدة سنة ١٣٧٨ الموافق ٢٦ من شهر فبراير سنة ١٩٦٨ . توفي يوم الإثنين وغسل وكفن وصلى عليه يوم الثلاثاء كما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله وطيب ثراه ودفن مع اخوته بالمقبرة رقم ٩ لأن مقبرة الوالد كانت لحدأ وقد منع أن يدفن معه أحد .

وقد طار خبر وفاته إلى سائر محافظات الجمهورية فتوافد الجميع لتشييعه إلى مقبره الأخير بعد أن صلى عليه ابنه وخليفته الإمام الشيخ يوسف أمين خطاب ثم أسرع الناس إلى مبايعة إماما لأهل السنة في مكان والده وجدّه والنفعي

حوله وجاء رؤساء الفروع من كل مكان ليظهروا له الطاعة والرضا بإمامته لأهل السنة .
وقد ذكرت ترجمة مختصرة له في نهاية إتعااف الكائنات الطبعة الثانية وأنه ولد
في ٢٤ محرم سنة ١٣٢٣ هـ / ٧ إبريل سنة ١٩٠٥ والتحق بالأزهر الشريف
في سنة ١٣٣٨ / ١٩١٩ تم تخرج في مدرسة دار العلوم ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ واشتغل
بالتربية والتعليم . ولما توفى والده تسلم الأمانة فكان إماماً لأهل السنة ورئيساً
للجمعية الشرعية يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٨ ثم دعا
إلى حفل ديني في سبك الأحد في دوار آل خطاب وهناك في الحادي عشر من ذي الحجة
سنة ١٣٧٨ تمت بيعة ثانية له .

وواصل الإمام يوسف المسيرة ورأس معهد الإمامة للدراسات الإسلامية وألقى
فيه محاضرات في اللغة العربية والحديث النبوي وهذا المعهد أعيد لتخريج الدعاة
إلى الله من وعاظ الجمعية ، ومقره مسجد الإمام محمود خطاب السبكي ١٩ شارع
الجلال بالهجرة وقاد الجمعية الشرعية ونشر كتاب الفتاوى الأمنية ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢
وقد تولى رئاسة جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية وكان يكتب بابا ثاباً في المجلة
التي تصدرها الجمعية ، ثم كانت وفاته يوم الإثنين ٣٠ من صفر سنة ١٣٩٦ الموافق
أول مارس سنة ١٩٧٦ .

وكان قد بنى مقبرة جديدة شرعية إلى جوار مقبرة جدّه في المجاورين تضم
٤٢ قبراً وخصص لنفسه وعلى نفقته لحداً على مثال ما فصل جدّه الإمام مؤسس
الجمعية ورقمه بنفس رحمه رحمهما الله وأجزل ثوبتهما .

وبقي استدراك على ما كتب الشيخ أبو القاسم إبراهيم في ترجمة الإمام مؤلف
الدين الخالص في ص ٣١ أن الأستاذ عبد الحكيم محمود خطاب النجل الأصغر
أجبل لتقاعد في سنة ١٩٦٢ ونضيف إلى ما ذكر أنه عكف على تلاوة القرآن وبذل
المال في سبيل الله وصلة الرحم حتى انتقل إلى جوار الله عز وجل في السابع
من ربيع الأول سنة ١٣٩١ الموافق ٣ مايو سنة ١٩٧١ م رحمه الله رحمة واسعة ودفن
إلى جوار أخوته في المقبرة التي تضم أولاد الإمام رحمه الله وجعلهم الله في أعلى عليين
ونسأله تعالى أن يوفق ذرية الإمام يفضله ويمينهم على مرضاته ويرزقهم تمام القبول
والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على خاتم المرسلين والنبين وآله وصحبه أجمعين .

د . عبد العظيم حامد خطاب

وكيل الجمعية الشرعية الرئيسية

شهر ذي القعدة سنة ١٤١١

الموافق مايو سنة ١٩٩١

دليل ترجمة الشيخ الإمام

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢	المؤلف . مولده . نشأته	١٥	آثارها ، وعاطها ، نموذج وضعه
٣	شجاعته . تفوقه في أعمال الزراعة والتجارة ، والحياكة ، والبناء ، والصيد ، جده في الطاعة والعبادة	١٦	المؤلف نبراسا يستضيء به الوعاظ كيف يسير المرشد في إرشاده
٤	إحكامه الكتابة والقراءة بعد أن كان أميا . رحلته إلى الأزهر	١٧	مسجد الجمعة الشرعية بالحجيمة
٥	تعلقه بطلب العلم واجتهاده فيه	١٨	السبب الحامل للجمعية على إنشاء المساجد ، المنسوجات الشرعية
٦	تغييره الناس مما يرتكبونه في الأفراح والمآتم من المنكرات	١٩	وصف منسوجات الجمعية ، حال المؤلف بعد توديعه الأزهر
٧	حملته على أرباب الطرق وبيان حالهم	٢٠	وفاة الشيخ الإمام ، ساعة الوداع
٨	بيانه للقراء آداب القراءة وحتم على احترام القرآن . بعد نظره في طريق الدعوة إلى الخير . إعداده العدة لذلك	٢١	وقع نعيه على النفوس ، تشييعه
٩	عرضه مؤلفاته على السادة العلماء ثمرة نشر كتبه بين الناس . تأديته امتحان العالمية	٢٢	كيف الوصول إلى قبر الشيخ الإمام ؟
١٠	مقنن شهادة العالمية ؟ ما كان منه بعد قيامه بواجب الدعوة والإرشاد . انتصاره على من ناواه	٢٣	طريق آخر إلى المقبرة الشرعية
١٢	مؤلفاته	٢٤	مصور جغرافي يبين موقع المقبرة الشرعية
١٣	وصفها . ثباته ودأبه في الدعوة إلى الخير	٢٥	السبب الداعي لإنشائها ، وصفها
١٤	إنشاؤه الجمعية الشرعية	٢٦	قبر الشيخ الإمام
		٢٧	منظور طبعي يبين ضريح الشيخ الإمام
		٢٨	شيوخ الأزهر في عهد المؤلف
		٢٩	شيوخ المؤلف . أنجاله
		٣١	تلامذته
		٣٢	خليفته